دار الآداب تقدم

ريجيس دوبريه

نقد العقل السياسي

ترجمة : الدكتور عفيف دمشقيه

السياسة جعلت الناس ، في جميع الازمان ، مجانين او متوحشين او خطرين ، وبكلمة واحدة ، فاقدي العقل . هذا ما يقوله الرأي الشائع .

والحق أن لكل انحراف عقليّ سببه ، ولا شيء يتمّ بلا علّة . هذا ما يقوله الحس السليم .

ومن هنا السؤال المحرج : لماذا ينبغي ان تزيغ عقول الناس بمجرّد ان يعيشوا في مجتمع ؟

الجواب هنا يتخذ شكل صعودٍ نحو وضع إمكان الهذيان الجماعي وهو يبدأ بفحص خطابات الهذيان (وهي اليوم ايديولوجية) وينتهي بفحص البنية المنطقية لجماعة مستقرة . وينتج من ذلك أن « عدم اكتمال » أية مجموعة مغلقة يحدد الاستعمال الممكن لقابلية البشر للتصرف والانتظام جماعياً . وهو ضغط ملزم يطلق عليه التقليد النقدي صفة « نظام » .

يقول ريجيس دوبري « طويلاً ما أخفت السياسة عني السياسي » . انها تخفيه ، ليس بمعنى ما يخفي القطار قطاراً آخر ، بل بمعنى ان أي قطار يخفي السكك التي يجري عليها . هناك مسافات كثيرة ، وشرعات كثيرة ، ولكن هنا سكة حديد واحدة ، او سكة صليب .

وهذا النقد للعقل السياسي ، إذ يثبت على مادي دقيق الطبيعة الدينية للوجود الجماعي ، يكتشف ، في تطبيق التنظيم ، ثوابت يشكل مجموعها « اللاشعور السياسي » للانسانية ، او بكلمة أفضل : حضورها الأبدي .

ويستطيع المؤلّف ان يكرر قوله : « انا لا أواجه خطر أن اناقض ، بل خطر ألا أفهم » .